من فصيح الكلام في لسان العوام

دراسة توثيقية وصفية في لهجة قرى مدينة الخليل

إعداد:

د. محمود أحمد أبو كتة الدراويش

جامعة بيت لحم

المقدمة:

يعجبُ المرءُ حينما يسمَع كثيراً من المفردات الفصيحة، والعبارات الصحيحة تدور على ألسنة العوام الذين كانوا لا يقرأون ولا يكتبون، بل تناقلوها جيلاً بعد جيل على هذا المستوى من الفصاحة.

ويكاد السامع يظن بادئ الأمر أن هذه العبارات التي يرددها العوام إنما هي غريبة عن قاموس الفصاحة، إلا أن التدقيق اللغوي، والتحقيق المعجمي فيها يثبت أن هذه الألفاظ والتراكيب موغلة في الفصاحة، ممتدة في شعاب الزمن القديم رجوعاً إلى العصر الجاهلي.

لقد أثار هذا القاموس المتداول بين العوام مزيداً من التساؤل والاستهجان في نفسي، وما كان ظني في يوم من الأيام أن عبارات هؤلاء العوام هي غاية في الفصاحة، وأنها تتماشى مع كل معايير السلامة اللغوية.

والقاموس الذي أقدمه حول هذه الألفاظ والعبارات والتراكيب الفصيحة المتداولة على ألسنة العوام، إنما هو لبيئة لغوية ينطق بها سكان جميع القرى المحيطة بمدينة الخليل، وهو ما زال مسموعاً حتى اليوم.

وعندما أقول في لسان العوام فإنما أعني هؤلاء العامة من الناس الذين عنيتهم في مجتمع الدراسة، وهم عامة الناس ودهماؤها وجميعهم من الأميين الذين لم يكن لهم حظ من كلمة مكتوبة فيقرأونها، ولا نصيب من كلمة مقروءة فيكتبونها أو يدونونها، وإنما تناهت إليهم هذه التراكيب العربية الفصيحة، والألفاظ اللغوية الصحيحة بفعل الانتقال الشفوي، والرواية المتوارثة في أوساط الناطقين بها جيلاً بعد جيل، ولولا هذا التوارث الشفوي لاضمحلت هذه الألفاظ وانحسرت من لسان أهلها اليوم، ولعل هذا التوارث الشفوي يفسر لنا ظاهرة انشعاب اللهجة العامية من اللهجة الفصيحة، وعودة العامية في جذورها إلى اللغة الفصيحة.

ولعلّ أبرز ما تكشف عنه هذه الدراسة هو ظاهرة الهجرات العربية القديمة إلى فلسطين، وأن لغة تلك القبائل قد ظلت مهيمنة على الواقع اللغوي لتلك القبائل العربية القديمة، وحافظت على أصولها اللغوية الفصيحة حتى اليوم، عن طريق التوارث الشفوي للذاكرة اللغوية، رغم أن هؤلاء الناس كانوا يعيشون أمية الكلمة المكتوبة والموثقة، فكيف وصلت إليهم هذه الألفاظ الأصيلـــة، والتعابير الفصيحة.

أجل لقد كان يطاف في القرية من أولها إلى آخرها في أواخر عهد الحكم العثماني بحثاً عن قارئ رسالة لأحد رجال القرية المنخرطين في سلك الجيش العثماني في إحدى المدن النائية في آسيا أو أوروبا أو إفريقيا أو في أقصى مدن اليمن السعيد، أو مدن المغرب البعيد. فلا يجدون قارئاً يفك رموز الرسالة، فيتحولون إلى قرية أخرى وربما لا يجدون القارئ، وهكذا حتى يعثروا على قارئ واحد.

إن هذا الحال يعكس واقعاً من الأمية التي كانت سائدة آنذاك، ومع ذلك فإن اللسان الناطق المتداول لتلك البيئة الجغرافية، والصدر الواعي كانا أداتي حفظ هذه اللغة، حيث لم يكن للكتابة عندهم أي نصيب، وإذا كان هذا هو حظَ أهل هذه اللغة من القراءة والكتابة وهو أمية القراءة والكتابة، إلا أن حال هذه الألفاظ الفصيحة كان يسري على ألسنة العامة بالتوارث جيلاً بعد جيل حتى يعود بها إلى شعاب الزمن حيث اللغة الفصيحة.

والناظر في أصول هذه المفردات والعبارات والتراكيب يجدها في لسان العرب ماثلة في جذور الأفعال ومشتقاتها، فإذا كانت هذه الألفاظ تشغل حيزاً من معجم لسان العرب لابن منظور وغيره من علماء العربية الذين قيدوا المعجم التاريخي والدلالي للغة العربية، فذلك يعني أنها عبارات عربية فصيحة، ولو كان الناطقون بها في تلك البقعة الجغرافية لا يقرأون ولا يكتبون وذلك بسبب الأمية التي سادت الوطن العربي قروناً عديدة حتى نهاية الحكم العثماني لوطننا العربي الكبير.

إن هذه العبارات والتراكيب تعبر عن حياة البداوة والرعي، بل عن حياة الريف والفلاحة، وهي شاهد على أن هذه العبارات ممتدة في إطار الزمان والمكان،

حتى تعود إلى أصولها العربية الفصيحة، التي نطقت بها قريش، وتميم وهذيل وغيرهم.

وإن استعمال هذه الألفاظ استعمالاً شفوياً، هو الذي أعطاها هذا العمر المديد، وذلك الحظ الوافر من الشيوع والحياة على ألسنة العامة، وكتب لها البقاء والاستمرار إلى هذا العصر. وما دامت البيئة العربية التي يمثلها مجتمع الدراسة هذا، تستعملها في حياتها فإنه ستكتب لها الحياة، وعندما تختفي مظاهر الحياة الموجبة لاستعمالها، بفعل التمدن، أو التحول الاجتماعي عن نمط الحياة الموجبة لاستعمالها ستزول هذه الألفاظ من واقع الحياة، نظراً لتحول الناس عن نمط المعيشة الذي يقتضي استعمال هذه العبارات، وبدون استمرار أسباب استعمالها فستنحسر هذه الألفاظ والتراكيب ويقتصر أمر ورودها على المعاجم المدونة حينما تفقد مكانها من اللسان الناطق بها.

وهنا لا بد أن أشير إلى أن استعمال هذه الألفاظ على ألسنة العامة قد جعلها تخضع لقوانين اللغة من قلب وإبدال وإعلال وحذف وتخفيف.

فتراهم يقولون قهد في الشرب بدلاً من (دهق) ويقلبون قلز إلى قزل، وفعس إلى فعص وفغص ولسع إلى سلع، وزلع إلى زلط وهكذا مما يكثر ويشيع على ألسنتهم. كـ قماط ومقاط، وقحز وقحص، وتوم وثوم، وتلبّش وتبلبش أي احتار.

فمن من فصيح الكلام في قاموس العوام:

(1) وقالوا: بزق عليه وبصق إذا تفل

قال ابن منظور: البزق والبصق: لغتان في البزاق والبصاق، بزق يبْزَقْ بزقاً. وَبَزق الأرضَ: بَذَرها.

وبصق: البصاق: لغة في البزاق، بصق يُبصق بصقاً.

(2) وقالوا: إذا أكل أحدهم من طعام مدهن وأتخم: جَفِس.

قال ابن منظور: َجفِس من الطعامَ يجْفَسُ جَفَساً: أَتَّخَمَ، وهو جَفسٌ، وجَفستَتْ نفسُهُ، خَبُثَتْ منه.

وفي النوادر لأبي زيد: فلان جْفسٌ، وجَفِسٌ أي ضخْم جاف، والجَفَاسةُ: الإتّخام.

(3) وقالوا: حط الشبكة على الجرن.

والجَرن: المكان الذي تجمع فيه الزروع بعد نضجها من أجل استخلاص ثمارها.

قال صاحب اللسان: الجَرن والجَرين: موضع الثمر الذي يجفف فيه، وفي حديث الحدود: لا قطع في ثمر حتى يؤويه الجرين، موضع تجفيف الثمر، وهو له كالبيدر للحنطة. وفي حديث أُبيّ مع الغول: أنه كان له جُرُن من تمر.

وقالوا لقطتُ العنبَ من الحبلة والحبلةُ: والحُبُلة، ومعنى الحَبَلة في معجم **اللسان:** الكرم، قيل الأصل من أصول الَكرْمُ، وقال ابن منظور: الحبلة طاق من قضبان الكرْمِ.

وفي الحديث: لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا: العنب، والحبلة بفتح الحاء والباء، وربما سكنت: هي القضيب من شجر الأعناب، أو الأصل.

(4) وقالوا: حطت الغدفة على رأسها وصوابها الغِدفة بكسر الغين، لا بفتحها، ومنه أغدفت المرأة قناعها: أي أرسلته، وأغدف قناعه: أرسله على وجهه، قال عنترة:

إن تغدفي دوني القناع فإنني   طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم.

(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ابن الأنباري، ص 235).

وأغدف عليه ستراً: أي أرسله.

(5) وقالوا: دهق كأس الماء قال ابن منظور: ودهق الماء وأدهقه: أفرغه إفراغاً شديداً، قال الله تعالى في شراب أهل الجنة: (وكأساً دِهقا) (سورة النبأ آية 34)، وفي حديث علي– رضي الله عنه – نُطفة دهاقا، وعلقة محاقاً، أي نطفة قد أفرغت إفراغاً شديداً ، من قولهم: أدهقت الماء إذا أفرغته إفراغاً شديداً وهو من الأضداد.

وقال خداش بن زهير:

أتانا عامر يرجو قِرانا   فأترعنا له كأسا دهاقاً

(6) وقالوا: فلان مزدوح على جنبه ومسدوح على ظهره بقلب الزاي سيناً.

قال ابن منظور: السدح: ذبحك الشيء وبسطه على الأرض، وقد يكون إضجاعك للشي.

وقال الليث: السدح: ذبحك الحيوان ممدوداً على وجه الأرض.

ونقل ابن منظور عن الأزهري: السدح والسطح واحد، وأبدلت الطاء فيه دالاً، كما يقال: مد ومط وما أشبهه. ومنه قولهم: سدحه فانسدح فهو مسدوح وسديح.

قال خداش بن زهير:

بين الأراك وبين النخل تسدحهم   زرق الأسنة في أطرافها شبم

وقالوا: فلان مزدوح على جنبه ومسدوح على ظهره.

قال ابن منظور: السدح، ذبحك الشيء وبسطكه على الأرض، وقد يكون إضجاعك للشيء.

قال الجوهري في الصحاح: السدح، والسطح واحد، أبدلت الطاء فيه دالاً، كما يقال: مط ومد، وقد يبدلون السين زاياً فيقولون: زدح.(الصحاح: مادة سدح)

ويقولون: مزدوح على جنبه إذا كان ممدداً على جنبه.

(7) **وقالوا:** زَحْلِفْه عن وجهي: أي أبعده، وهو مشتق من الفعل زَحْلَفَ، وقد جاء في لسان العرب تحت مادة زحلف: الزحلوفة: كالزحلوقة، وقد تزحلف.

وقال الجوهري في الصحاح: الزحلوفة: آثار تزلج الصبيان من فوق التل إلى أسفله، وهي لغة أهل العالية، وتميم تقوله بالقاف، والجمع زحالف وزحاليف.

ونقل صاحب اللسان عن الأزهري: الزحاليفُ والزحاليقُ آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل، وأحدها زُحلوقَة بالقاف، وقال في موضع آخر: واحدها زُحلوقة وزُحلوقة.

ويقال: زحلفَ اللهُ عنا شرّك: أي نحى الله عنا شرك.

وروى صاحب اللسان عن ابن الأعرابي: الزَّحلُوفَةُ مكان منحدرٌ مملسٌ لأنهم يَتَزَحْلَفونَ عليه، وأنشد لأوس بن حجر:

يُقلبُ قيدوداً كأنَّ سرَاَتها   صفاُ مدْهنٍ، قْد زلَّقته الزَّحّالِفُ

(8) وقالوا: رَزَتَه من عنقه:

جاء في اللسان: رَزَدَه، وزَرته إذا خنقه.

(9) وقالوا: زلط، وزرط وسرط اللقمة إذا ابتلعها. وكذلك زردها، ونقل صاحب اللسان عن التهذيب للأزهري: يقال: سرط اللقمة وزرطها، وزردها، وهو الزراط والسراط.

(10) وقالوا: أهل الزرم ماتوا.

قال صاحب اللسان: وْاَزرأَمَّ : غضبَ فهوْ مْزَرئمٌّ .

وقالوا: واللهِ ما طاَح زَرْدَمتي وكذلك الله لا يجعلك تَزَّردم (أي: لا يدخل الطعام حلقك).

قال ابن منظور: الزردمةُ: الغَلصَمَةُ، وقيل: هي فارسية، وقيل: الزردمة من الإنسان تحت الحلقوم واللسان مركب فيها. الزردمة الابتلاع.

(11) وقالوا: انزمعت، وانزمع، ومزموع، إذا أحس بالخوف والدهش فجأة.

قال ابن منظور: الزمع: الدهش، والزمع: رِعدةٌ تعتري الإنسان إذا هم بأمر وزَمِعَ الرجلُ، بالكسر، زَمَعاً: خرِقَ من خوفٍ وَجَزع. والمزموعُ: الخائفُ.

(12) وقالوا: زقم الطعام يزقم إذا ابتلع بسرعة.

قال ابن منظور نقلاً عن الأزهري: الزقم: الفعل من الزَّقوم، والإزدرتام كالابتلاع. ونقل أيضاً عن ابن سيدة: أزدقم الشيء وتزقّمه: ابتلعه. والتزُّقم: التلُّقم. وأضاف: قال أبو عمر: الزَّقْمُ واللُّقمُ واحد، والفعل: زَقَمَ يزْقُم، ولَقِمَ يلقَمُ.

(13) وقالوا لمن رأوه والنعاس يغالبه: هو بِيُدكس

وقالوا لمن يجالسهم في السهر إذا غشيه النعاس: أنا شايفك بتدكس

وفي لسان العرب: الدكاس: ما يغشى الإنسان من النعاس ويتراكب عليه، وأنشد ابن الأعرابي:

كأنه من الكرى الدُّكاسِ

بات بكأسي قهوة يحاسي

وربما قلبوا الكاف قافاً فقالوا بدقس، أي يغالبه النعاس.

(14) وقالوا: فلان صائع، أي هائم على غير هدى. وجاء في اللسان: وتصوَّعَ القُوم تصوّعاً: أي تفرقوا، وتصوّع الشعُر: تفرّق.

ويقولون لمن انفلت من رابطته، وألقى حبله على غاربه !هو صايع أو صائع.

(15) وقالوا: جاء يرتك رتكاً من شدة البرد.

ورتك: ارتجف، رتكت الإبل، ترتك رتكاً ورتكاً، ورتكاناً، وهي مشية فيها اهتزاز.

(16) وقالوا: رائحة صنة، وهو مُصَنّن.

الصَّن والصِّنُّ بالكسر: بول الوبر، يخثر للأدوية، وهو منتن جداً. قال جرير:

تُطَلَّى، وهي سيئة المعرَّى بِصِنِّ الوَبْر تَحْسَبُهَ ملايا

والمُصِنُّ: المُنتن، أصن فهو مصن، وصُنُانة: ريحه عند هياجه، والصُّنان : ذَفَرُ الإِبِطِ، وأَصَنَّ الرجل: صارَ لَهَ صنان.

(17) ويقال للتيس إذا هاج: قد أصنَّ: فهوُ مصنٌّ. وصُنُانة ريحه عند هياجه. **(اللسان: صَنَنَ)**

وقالوا: فُلانٌ مُنَطّل.

ومنه ينطل، ومنطّل: الداهية

(18) وقالوا: أعطيناه شقصة من الأرض.

والشقص: القطعة من الأرض، والطائفة من الشيء.

وفي الصحاح: قالوا:اشترى شقصاً من الأرض، أي جزءاً!، والشقيص: الشريك، يقال: هو شقيصي، أي شريكي في شقص من الأرض. (الصحاح: الجوهري، مادة شقص**)**.

(19) وقالوا: طسه على رأسه. إذا ضربه بكفه، أو لطمه.

قال عنترة: في وصف الناقة وهي تضرب الرمل بخفها أثناء سيرها:

خَطّارةٌ غِبَّ السُّرى زيافةٌ تَطِسُ الإكامُ بذاتِ خُفٍّ ميثَمِ

والوَطَس: الضرب الشديد، يقال وطَسَ يَطِس، وكذلك وثَم يَثِمُ (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص 318).

(20) وقالوا: طلبت هذا منك بالعشم.

وذلك لمن تأمل نيل حاجة من أخيه. ومنه: جئتك بالعَشَم، ولي عنده عشم.

والعَشَمُ: الطمُع، قال ابن منظور: قال ساعُدُة بن جؤَبة الُهذلي:

أم هل ترى أصلاتِ العيش نافعةً أم في الخلودِ، ولا بأَّللهِ مْن عَشَمِ

(21) وقالوا: لبد له في الطريق، أي اختبأ.

لَبَد بالمكان: يلبِدُ لُبُوداً، ولَبَد لَبداً، وألبَدَ: أقام به، ولزق، فهو مُلبِدٌ به، ولَبَد بالأرض، وألبَدَ بها إذا لزمها فأقام. (اللسان: مادة لبد).

وتلبدَّ الشَّعرُ والصوفُ والوُبر: والتَبَد تداخلَ ولزَق وكل شعر أو صوف ملتبدٍ بعضُه على بعض، ومالٌ لُبدٌ: كثير، لا يُخاف فناؤه، كأنه التبدَ بعضُه على بعض وفي التنزيل العزيز: (يقول: أهلكتُ مالاً لُبداً) (سورة البلد آية 6) أي جما. ومنه حديث علي– رَضي الله عنهِ– لرجلين جاءا يسألانه: البدا بالأرض حتى تفهما، أي أقيما.

ومنه قول حذيفة حين ذكر الفتنةَ قال: (فإن كان ذلك فالبُدُوا لُبُودَ الراعي عصاه. خلف غنمه، لا يذهب بكم السيل أي: اثبتوا، وألزموا منازلكم، كما يعتمد الراعي على عصاه ثابتاً لا يبرح، واقعدوا في بيوتكم، لا تخرجوا منها فتهلكوا، وتكونوا كمن ذهب به السيل) ولُبد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سماه بذلك لأنه لبدَ فبقي لا يذهب، ولا يموت، كاللُبد من الرجال اللازم لرحله لا يفارقه. وفي المثل: "طال الأبد على لُبد".

(22) وقالوا: هو طول محص الجمل.

جاء في اللسان: حبل محص، ومحِيصٌ: أملس أجرد ليس له زِئبرٌ، ومَحِصَ الحبلُ يُمحَصُ مَحَصَاً إذا ذهب وبره حتىَ يمْلِص. وحبلٌ مَحِصٌ وملص بمعنى واحد.

ويقالُ للزمام اِلجيدِ الفتل: مَحِصٌ ومَحْصٌ في الشعر وأنشد.

ومحصٍ كساقِ السُّوذفانيِّ نازَعَتْ بكفَيَ جشَّاء الُبغامِ خَفِوقِ

أراد محص مخففة وهو الزمام الشديد الفتل

(23) وقالوا: ما وضعت في رقبته مرسة.

والمرسةُ: الحبلُ لتمرس الأيدي به، والجمع مرس، وأمراس وقد يكون المرس للواحد. والمرسة أيضاً: حبل الكلب.

وقال امرؤ القيس

فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ َجنْدلِ

(شرح القصائد السبع الطوال ص79، وشرح المعلقات السبع: للزوزني ص 39 ديوان امرئ القيس ص 76).

(24) وقالوا: مَقَسنا المطُر: أي بلّلنا

قال ابن منظور، قال أبو سعيدَ: مَقَسْتُه في الماءَ مَقساً، وقَمْسُته قمساً إذا غَطَطْتُه فيه غطّساً فحدث فيه قلب مكاني، وقال أيضا: قمسته قمسا، إذا غططته فيه غطا.

وفي الحديث: خرج عبد الرحمن بن زيد، وعاصم بن عمر يتماقسان في البحر أي يتغاوصان. يقال: مقسُته، وقمسته على القلب إذا غططتُه في الماء.

وقد أبدلوا السين صاداً في الحالتين أي في جذر قمس، ومقس، قال النابغة الذبيانيّ:

له بحرٌ يُقَمِّصُ بالعَدوُلي   وبالخُلجِ المحَّملَةِ الثقال

إذ شبّه كثرة عطائهِ بالبحر، فضرب البحر مثلاً لكرمه، والعَدُوليّ سفن كِبار، والسُحلْج، سُفنٌ دون العدُولية، والخلج أيضاً: السرعة. وقوله يُقَمِّصُ بالعدولي: أي يرتفع بها ويقفز (ديوان النابغـــة: تحقيق محمد أبي الفصل ص152).

والقاموس والقومس: قعر البحر، وقيل وسطه ومعظمه.

(25) وقالوا: فَطَسَ من العطش، وفَطَزَ.

قال صاحب اللسان: فَطَزَ الرجلَ فطْزاً، مات كفطس

وقال أيضاً: فَطَسَ يفْطِسُ فُطُوساً، إذا مات، وقيل مات من غير داءٍ ظاهر، وَطَفَس أيضاً مات، فهو طافِس وفاطس، أنشد ابن الأعرابي:

تَتْرُك يربوعَ الفلاةِ فاطساً

(26) وقالوا: قمّطنا الولد بالقِماط (اللسان: قمط).

قال صاحب اللسان: القمط: شد كشد الصبي في المهد، وفي غير المهد إذا ضُمَّ أعضاؤه إلى جسده، ثم لف عليه القماط، **ونقل عن ابن سيده:** قَمَطَه يقمُطُه ويقمِطه قَمْطاً وقمَّطَه: شد يديه ورجليه، واسم ذلك الحبل القِماط، **والقِماط:** حبلٌ يشد بُه قوائم الشاة عند الذبح، وكذلك كل ما يشد به الصبي في المهد، وقد يبدلونه فيقلبونه قلباً مكانياً ويقولون (مقاط).

قال ابن منظور: والمقاط: حبل صغير يكاد يقوم من شدة فتله، قال رؤبة يصف الصبح والصواب أنه للعجاج:

من البياضُ مدَّ بالمِقاطِ، (ديوان العجاج ص 253)

وقيل هو الحبل أياً كان. والجمع مُقُط مثل كتاب وكتب ومقطة يمقطه مقطاً: شده بالمِقاط.

قال ابن منظور: والمِقاط: حبل مثلُ القِماط مقلوب منه.

وفي حديث عمر – رضي الله عنه – قدمَ مكةَ فقال: من يعلم موضع المقام.؟ وكان السيل احتمله من مكانه، فقال المطلب بن أبي وداعة: قد كنت قدرته وذرعته بمقاطٍ عندي، المِقاط بالكسر: الحبل الصغير الشديد الفتل. (اللسان: مقط)

(27) وقالوا لمن رأوه يمشي ويعرج مالك تقلز؟

قال صاحب اللسان: قَلَزَ يَقْلُز ويقْلُزُ قَلْزاً: عَرَج: والقَلْز: قلزُ الغُراب والعصفور في مشيته. وقلز الطائر يقلز قلزاً: وثب، وذلك كالعصفور والغراب. وكل ما لا يمشي مشياً، فقد قلَز، وهوَ يَقْلِزُ.

وقال ابن الأعرابي في وصف دار خلت من أهلها فصار فيها الغربان والظباء والوحش:

يقلز فيها مِقْلَزَ الخُجُولِ

نَعْباً على شِقّيهِ كالمشكولِ

يَخُطُّ لامَ ألفٍ موصولِ (اللسان: قَلَزَ)

وقد يبدلون اللام زاياً فيقولون: قَزَلَ بالتحريك:

وهو أسوأُ العرج وأشده، كما جاء في اللسان، وفي حديث مجالد بن مسعود: فأتاهم وكان فيه قَزَل فأوسعوا له، وهو أقْزَلُ ، وقيل: الأقُزَلُ الأعرج الدقيق الساقين، لا يكون أقزلَ حتى يجمع بين هاتين الصِّفَتَين، رواه ابن الأعرابي، ويقال ذلك للذئب، واستعارة بعضهم للطائر فقال:

تدع الفراخ الزّغبَ في آثارها

من بين مكسور الجناحِ و أَقزلا

(28) وقالوا لمن رأوه يحرك لسانه في فمه في أعقاب الأكل هو يتلمَّظُ .

قال ابن منظور: التلمّظُ والتمطّقُ: التذوق. واللمظ والتلمظ: الأخذ باللسان ما يبقى في الفم بعد الأكل، وقيل: هو تتبع الطعام والتذوق، وقيل: هو تحريك اللسان في الفم بعد الأكل، كأنه يتتبع بقية من الطعام بين أسانه، واسم ما بقي في الفم اللُّماظة.

والتمطُّق بالشفتين: أن تضم إحداهما بالأخرى مع صوت يكون منهما،... ومنه تلمظَّتِ الحيةُ إذا أخرجت لسانها كتلمظ الآكل.

أما التمطّق: فهو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت، وذلك عند استطابة الشيء.

وأنشد ابن برّي:

إذا أردنا دُسمةً تنّفقاً

بناجشات الموت، إذ تمطّقا

والتمطق بالشفتين: أن يضم إحدهما بالأخرى مع صوت يكون منهما، وأنشد:

تراه إذا ما ذاقها يتمطّقُ.

(29) وقالوا: نقز من قدامي، أو فلانٌ نَقَز من عيني

قال ابن منظور: النقَزُ والنَّقَزَانُ: كالوَثَبان صُعُداً في مكان واحد، نَقَز الظبي! ولم يُخصص ابن سيدة شيئاً بل قال: نَقَزَ يُنقزُ نقْزاً ونَقَزَاناً، ونِقازاً، ونَقَزَ: وثبَ صُعُداً، وقد غلب على الطائر المعتاد الوثب كالغراب، والعصفور.

وفي معجم الصحاح: نَقَزَ الظبيُ في عدوِه، يَنْقُزُ نقزاً، ونَقَزَاناً: أي وثب، والتقيز: الوثيبُ.

وقالوا: قحَزَ من أمامي، وربما أبدلوا الزاي صاداً فقالوا:

فَحَصَ من أمامي أو قحس، بالسين.

قال ابن منظور: القَحْزُ: الوثب والقلق. قَحَزَ يَقْحز قحزاً، قلق ووثب واضطرب، قال رؤبة.

إذا تنزّى قاحزاتِ القَحَزْ يعني: شدائد الأمور. (ديوان رؤبة بن العجاج ص50).

(30) وقالوا: تناوشت القطف عن الشجرة وهو من ناشه ينوشه بيده نوشاً إذا تناوله، قال دريد بن الصمة:

فجئت إليه والرماح تَنُوشه كوقع الصَّياصي في النَّسيج الممد.

(خزانة الأدب: البغدادي، ج5 ص 91).

وفي التنزيل العزيز: (وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد). (سورة سبأ آية 52).

أي كيف لهم أن يتناولوا ما بَعُدَ عنهم من الإيمان، وامتنع بعد أن كان مبذولاً لهم، مقبولاً منهم. (الصحاح: الجوهري، مادة نوش) وقال ابن السكيت في كتاب إصلاح المنطق ص 432) ويقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه أو بلحيته: ناش فلان فلاناً ليأخذ برأسه.

(31) وقالوا: تهاوش القوم، يتهاوشون.

وجرى بينهم هوشة، أي فتنة من نفور وخصام.

جاء في اللسان:

هاشت الإبل هوشاً: نفرت في الغارة، فتبددت وتفرقت، وإبل هواشة: أُخذتْ من هنا وهنا.

والهوشةُ: الفتنة، والهيْج والاضطراب. والَهْرج والاختلاط

يقال: قد هَوَّشَ القوم إذا اختلطوا، وكذلك شي خلطته فقد هوشته.

قال ذو الرمة يصف المنازل وأن الريح قد خلطت بعضَ آثارها ببعض.

تعّفّتْ لتهتالِ الشتاءِ، وَهَّوشَتْ بها نائجاتُ الصيفِ شرقيةً كُدرْا

وتعفّت: دَرَسَت، "لتهتال الشتاء": أي: لمطر الشتاء، وكأنها أبدلت النون باللام وأصلها تهتان، ومنها: هتنت السماء، وهتلت، إذا مطرت، "وهوّ شتٍ حَرَّكت، وهيّجت بها نائجات" الصيف شرقية، "والنائجات" الرياح الشديدات المرِّ، وفي حديث الإسراء: فإذا بشر كثير يتهاوشون، التهاوش: الاختلاط أي: يدخل بعضهم في بعض. وجاء بالهوش والبوش، أي بالجمع الكثير من الناس. والهوش: المجتمعون في الحرب.

(32) وقالوا: نَّظفنا صوف الغنم من الوذح.

والوذح: ما يتعلق بأصواف الأغنام وخصاها من البعر والبول. قال الأعشى ميمون بن قيس: من قصيدة له في مدح إياس بن قبيصة الطائي، وعدتها واحدٌ وستون بيتاً من الرمل.

وترى الأعداءَ حولي شُزَّرا   خاضعي الأعناق أمثال الوذحْ

(ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين ص 281).

وقالوا: سنَّد الجبلَ **ونقل ابن منظور عن الليث: معناه:** صعد في الجبل، هذا ما ذكره ابن منظور (اللسان: سند) وقال الجوهري في الصحاح: (السّند، ما قابلك من الجبل وعلا من السفح).

(33) وقالوا: نظفنا الصوف من الوذح

قال صاحب اللسان:

الوذح: ما تعلّقَ بأصوافِ الغنم من البعر والبول، وقال ثعلب:

هو ما يتعلّق من القَذر بألية الكبش، الواحدة منه وَذَحة، وقد وَذِحتْ وَذَحاً، والجمع وُذْحٌ مثل بَدَنَه وَبُدْنٌ، قال جرير:

والتغلبيةُ في أفواهِ عَوْرتَها

وُذحٌ كثير وفي أكنافِها الوَضرُ.

وأضاف صاحب اللسان نقلاً عن أبي عبيدة: الوذح ما يتعلق بالأصواف من أبعار الغنم فيجف عليه، وقال الأعشى:

فترى الأعداء حولي شُذّراً

خاضعي الأعناق، أمثالَ الوَذَحْ

وروايته في الديوان: وترى. "ديوان الأعشى الكبير: تحقيق محمد محمد حسين ص281"

(34) وقالوا: وشعوا شلاياهم للقنان.

يقولونه للرعاة إذا أرسلوا أغنامهم على زرع الجبل، أو شجره.

قال صاحب اللسان: وشَعَ الجَبَل، ووشَع فيه يَشَعُ بالفتح، وشْعَاً ووشوعاً، وتوشَعةً: علاه. وتوشعت الغُنم في الجبلِ إذا ارتفعت فيهِ ترعاهُ. وإنه لوشوع فيه متوقل له، عن أبن الأعرابي **قال:** وكذلك الأنثى وأنشد:

ويلُمِّها! لقحةُ شيخٍ قد نَحَلْ

حوساءُ في السَّهلِ وشُوع في الجَبَلْ

وتوشح فلان في الجبل: إذا صعد فيه.

والشلايا: جمع شلية وهي القطعةُ من الأغنام.

والقنان: الجبل.

وقد يفكون أدغام الشين في وشّع في بعض الأحيان ويبدلونها راءً فيقولون وَرْشَعَ وتورشَعَ

وقالوا تورشعته الكلاب، إذا لحقته وعلقتْ به.

(35) وقالوا: بيّتَ الرُّعيان في الهجمة.

والهجمُة: القطعةُ الضخمةُ من الإبل، وقيل: هي ما بين الثلاثين والمائة، قال ابن منظور ومما يدلك على كثرتها قوله:

هل لكِ والعارضُ منكِ عائضُ

في هَجْمةٍ يُسئِر منها القابضُ؟!

وقد اختلف في عددها، ثم استعيرت من الإبل للماشية، فصارت كلمة الهجمة تطلق على قطعان المواشي التي تتحرجم سوية وتبيت في مكان واحد.

ومن أقوالهم: عدا الذيب على الهجمة.

أي أغار على قطعان الماشية سواء أكان ذلك ليلاً أم نهاراً.

ومن فصيح الكلام في قاموس العوام

(37) قالوا: بِدْنا نُورِّد الغنم على الهرابة: وبدنا أصلها! ب ودنا أي برغبتنا.

والهرابة: بئر الماء، قال ابن الأعرابي: الهارب الذي صدر عن الماء، والقارب الذي يطلب الماء. (اللسان: هرب).

الخاتمـــــــــــة

كان هذا القدر اليسير مما رصدته من فصيح الكلام في لسن العوام في منطقة الريف المحيطة بمدينة الخليل، وهناك ظواهر أخرى كثيرة من هذا الكلام الفصيح لم ترد في هذه الدراسة الموجزة، ولدي النية والرغبة الأكيدة في استكمالها، رغبة في الإشارة إلى المعيار اللغوي الصحيح، لدى كثير من الأوساط اللغوية العربيـــة، التي يظنها بعض الظانين أنها بعيدة عن الفصاحـــة، علماً بأنها من صميم الكلام الفصيح، وأنها تعود إلى القاموس العربي الذي نطقته العرب في عهود اللغة الزاهرة.

وثمة ملاحظة أخرى تستدعي الإشارة إليها والتنبيه عليها، وهي أن هذه الفصاحة إنما هي تعبير عن موروث اللسان العربي الذي انتشر في بلاد الشام بعد الفتح العربي الإسلامي، وغدا لسان الناطقين من ذلك اليوم إلى يومنا هذا، وهي علامة بارزة على التواصل الحضاري، والانتماء القومي والالتزام العقدي حتى عصرنا الحاضر، رغم ما تعرضت له بلادنا من غزوات واجتياحات، ورغم ما شهدته من احتلالات وهجرات.

قائمـــــــة المصادر والمراجـــع

1- الإبدال: ابن السكّيت، 0ت 244هــ)، أبو يوسف يعقوب، تحقيق حسين محمد محمد شرف، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1398هــ – **1978م.**

2- **إصلاح المنطق:** ابن السكّيت (ت244هــ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف – 1970م ط3.

3- **تاج اللغة وصحاح العربيـــة:** الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين – 1399هــ– 1979م– ط2.

4- **تهذيب اللغـــة:** الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هــ)، تحقيق عبد الحليم التجار وأخرين، القاهرة، الدار المصريـــة للتأليف والنشر (لدون تاريخ).

5- **خزانـــة الأدب ولب لباب العرب:** عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار الكتاب، ومطبعـــة الخانجي – 1967م إلى 1980م.

6- **ديوان الأعشى الكبير:** (ميمون بن قيس) شرح وتعليق محمد محمد حسين – بيروت: المكتب الشرقي للتوزيع والنشر – 1388– 1968م.

7- ديوان امرئ القيس، جمع وشرح ياسين الأيوبي، بيروت: 1419هــ– 1998م ط1.

8- **ديوان العجاج برواية الأصمعي:** تحقيق عزة حسن، بيروت: دار الشرق (بدون تاريخ).

9- **ديوان ذي الرُّمه:** (غيلان بن عقبة الفدوس) (ت117هــ) شرح الإمام أبي نصر الباهلي صاحب الأصمعي، رواية أبي العباس ثعلب، حققه وقدّم له عبد القدوس أبو صالح، دمشق: مطبعـــة طربين 1392هــ– 1972م.

10- **ديوان النابغـــة الذبياني:** تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف – 1977م.

11- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات:** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت328م) تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، 1400هــ– 1980م.

12- **شرح المعلقات السبع:** الزوزني، الإمام عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني (ت 486هـ)، تحقيق محمد الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية، 1418هـ- 1998م.
13- **لسان العرب:** ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ)، بيروت: دار الفكر، ومطبعة دار المعارف (بدون تاريخ).
14- **المخصص:** ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت458هـ)، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (بدون تاريخ).